

مسألة ضمير

قصة بقلم محمد حسن عبداللح

انني يا سامي انسان له ضمير .. ضمير متيقظ يحاسبه دائما .. لا يمكن .

- واين هو الانسان الذي يعيش بلا ضمير ؟ كل انسان يولد بضميره - ان صح هذا التعبير - ولكن بعضنا ينجح في تخديسه او خنقه احيانا تحت شعارات مختلفة . الظروف . الوضع الاجتماعي . حق الشباب في الروح .. اشياء كهذه نقولها لضميرنا عند اللزوم فنكتفي شر العراك معه . ان الضمير كحارس الارض الفضاء .. في الواقع لا يؤدي اي مهمة الا انه يذود الناس عنها ليثبت سلطانه عليها .

- ((ولكن الارض فضاء بالنسبة لك فحسب .. اعني بالنسبة للرجل ، لان الاصرار لا تقع عليه في صورة مادية منبوذة .. اما الفتيات !؟)) .

- ((لكنك يا عزيزي لست فتاة !! ان اسمك - على ما اعلم - احمد ! !)) .

- ((وماذا يعني ان اضع نفسي هذا الوضع ؟؟ ولماذا ابيع نفسي ما انكره على اختي ؟ حتى ولو كانت الارض فضاء يجب ان تظل (بكرا) يحميها حارسها الى ان يسلمها الى صاحبها الشرعي والا فانها ستتحول الى دورة مياه قذرة)) .

وعاد الصديقان فتعانقا وافترقا وتواصيا بكتابة الرسائل .. وهذا دأبهما .. ما ان يلتقيا حتى يبدأ بالعتاب على اهمال المراسلة . والاعتذار معروفة ومكررة ... وان كانت في النهاية صادقة . وما ان يحين الوداع حتى يوصي كل منهما صاحبه بالكتابة اليه .. وبظل كلاهما ينتظر ان يبدأ الآخر الى ان يلتقيا بعد عام فيعودا للعتاب والتواصي .

وفي الصباح حمل احمد حقيبة السفر واتجه الى محطة القطار وما ان اخذ مكانه في الدرجة الثالثة ووضع حقيبته على الرف حتى رأى صديقه ((سامي)) يسير على الرصيف وفي صحبته فتاة عرفها احمد على الفور .. انها نبيلة اخت سامي .. كم صارت جميلة ناضجة .. تلك التي كانت تنظ الحبل مع صويحباتها منذ سنوات قلائل ... وحسب ذهنه سريعا المدة التي قضاها في الوظيفة ولم ير فيها نبيلة فوجدها اربع سنوات اتبعها بأهة حزينة .. وقبل ان يستقر على رأي .. هل من اللائق ان يناديه او يتركه . التقت عيونهما فهتف سامي على الفور - متهللا - وهو يمسك بيد التي معه :

- بس .. ضاعت والتقيناها .. هذا هو الحارس الامين ! !))

- ((ذاك هو الكلب يا صديقي .. الاسم الذي اطلقناه على الكلب في المدرسة الازماني .

- ((كلب .. قط .. المهم)) - وكان قد وصل الشباب - ((هذه اختي نبيلة .. واختك طبعاً .. لا تدعها حتى توصلها الى منزل خالتها .. الدقي ٣٧ شارع الدكتور كامل .. هي تحفظ العنوان)) .

- ((ولم لم تحدثني بشأنها امس ؟ أم ان السفر مفاجأة ؟))

- ((لا والله .. فقط اردت الا اقلقك وأغير نظام سيرك . لقد سافرت بمفردها قبل ذلك وهي تعرف الطريق .. اما وقد وضعت نفسك في طريقها .. فالذنب ذنبك)) وجلست نبيلة في مواجهة احمد . وبدأ القطار يتحرك فانصرف سامي مودعا .. واختم احمد اليها نظرة حبيسة ..

احمد وسامي صديقان منذ ايام التلمذة البكرة وفريق ((النمر المتفرد)) للعب الكرة .. - الشراب طبعاً - في حوارى المنصورة وازقتها . ولكنهما الان اصبحا لا يلتقيان الا في الاجازات .. فاحمد يعمل في القاهرة .. او بالاحرى يسكن القاهرة ويعمل بحسابات شركة الحديد والصلب في ضاحية حلوان .. وسامي يعمل بأحد بيوت التصدير والاستيراد باسكندرية ولا سبيل الى تلاقي الصديقين القديسين الا على سبيل المصادفة - التي قد تفرضها ظروف ما - او حين يعودان في الصيف الى مدينتهما - المنصورة - ليقتضيا الاجازة السنوية .

وكانت تلك الليلة هي آخر ليالي احمد في المنصورة . اذ ان اجازته تنتهي في القد وعليه ان يتسلم عمله بمسد عند .. وقضى الصديقان ليلتهما على شاطئ النيل الاسمر - المتدفق في غير انقطاع - حول الحسان من رواد كازنو ((منيرفا)) .. وفي الواقع ان للنيل عند المنصورة جمالا لا تجد له نظيرا على شريطه الطويل الممتد من اعماق القارة الى شرفتها المطلة على البحر المتوسط .. هناك تجد المباني الفخمة الشاهقة في جانب . والخرصة الممتدة الى ما لا يدرك البصر منبسطة على الجانب الآخر ((والبحر الصغير)) يأتي متقاطعا معه لانذا به كأنه رضيع متعلق بشدي امه . وشرعة المراكب والزوارق تملؤه بيضاء خافتة وكأنه قمرية حمام ... وصوت محطة كهرباء طلغا ذات القوة العارمة يأتي من بعيد هادئا فتوانيا كأنه نهاية لحن .. لا ينتهي .. ثم لساذا تغفل ركنا هاما من اركان جمال النيل المنصوري ! ! ؟ تلك الباقات التي تزين شاطئيه فتزيدهما سحرًا وعطرا .. الحسان حسان المنصورة ذات الجمال والدلال .. والسحر الحلال ! !

وامتدت يد احمد فازاحت النضد قليلا لينهض . فوقف سامي وأقبل على صديقه معانقا وهو يقول :

- ((ارجو ان نلتقي في الاجازة القادمة ومعك امرأة وطفل ..))

- ((اتزوج ! ! ؟ !))

- ((لا .. تستاجرهما للتزويج علي)) .. وضحك .

- ((ياه .. انت متفائل جدا .. بمثل هذه السهولة .. في عام واحد .. امرأة وطفل ! ! دفعة واحدة ! ! فارس .. فارس بدون شك))

- ((والله يا احمد .. ماذا اقول ؟ المسألة لا تحتاج الى فروسية .. ظروف .. ظروف لا اكثر .. هذا الحبل الذي بامتداده تمتد الحياة .. أعني .. الزواج .. احيانا يجدل بمنتهى البساطة ويتم في هدوء ويسر .. وحيانا تتشابك الخيوط وتتداخل وتتعد فلا يتم الامر الا بعد عناء وجهد .. لقد وقعت في يد جماعة اسكندرية اوصلتني اليهم ظروف العمل فخطبت ابنتهم .. انهم الآن يتسلون بعذابي .. يذلونني اذلال الدولة التي القت السلاح امام سطوة غريمتها .. ربنا يحميك من امثالهم))

- ((ومن غير امثالهم .. هل تريد ان تكرر المأساة ! ! ؟ !))

- شوف يا احمد .. الزواج شر لا بد منه .. حتما ستفكر فيسه يوما .. ولعلك تفكر فيه الآن .. الا اذا كنت .. انهم يقوسون ان القاهرة ملووة (بذلك)

- ((وحياتك يا سي سامي لا بذلك ولا بهذا .. انهم يقولون عن اسكندرية نفس الشيء . فهي اذن ليست الا اشاعة لا معنى لها .. ثم .. كيف تهمني ب .. آ .. بعد هذا العمر الطويل لا تعرف حقيقتي ! !

فتاة) وهذا ما فانه صديقه .. انه لا زال تحت سلطان « المعادلة اياها »
 بدليل انه اخذ في تفريغ نفسه ورميها بكل نقيصة ولم يتقدها - نفسه -
 منه الا وصوله الى الدور الثالث حيث تسكن الخالة .. وهناك كانت
 تنتظرهما مفاجأة .. القفل في الباب !!! هكذا بكل بساطة .. الباب
 مغلق بالقفل .. والقفل لا يستطيع ان يجيب على اي تساؤل .
 ونوقفت نبيلة مبهوتة وقد اصفر وجهها وانفتحت اليه - خلفها -
 في ذعر .. اما احمد فسريرا ما ادرك القلب .. فانتفض قلبه وتدلنت اذناه
 وتملكه دوار خفيف جعله يركن على درابزين السلم .. تماما كالسيارة
 التي نفذ وقودها فمالت الى جانب الطريق .

- « ما العمل ؟ »

قالتها نبيلة وهي تنظر اليه وكأنها تترك قيادتها له . انه الرجل
 وعلى الرجل ان يتصرف . وتمالك احمد سريرا ..

- « لا شيء .. لهم في الخارج .. في زيارة او يشترتون شيئا
 او اي امر من هذا القبيل .. لا داعي للانزعاج » .

قالت وهي ترتعد رعدة خفيفة :

- « انا لست منزعة .. هل تنتظرهم هنا ؟ .. »

- « طبعاً لا » .. - وتلفت حواليه - « حتى الشقة التي تجاورهم
 مغلقة هي الاخرى .. اف .. حظ .. طبعاً وضعنا هنا في انتظارهم امر
 غير معقول .. ننزل لسنا نجد البواب ونسأله متى يعودون .

ونزلا - ولم يجدوا البواب .. ووفقا في الباب قليلا . واخذ احمد
 يتلفت حواليه في حيرة وكأنه يبحث عن شيء ضائع بينما خيوط مسن
 العرق تجري على جانب عنقه .

واخيرا قالت نبيلة في همس :

- « انا اعرف انك مكسوف تقولها .. ومع ذلك .. انت اخي تماما
 .. سأقولها انا .. اننا لا نعرف متى يعودون . ولا نستطيع ان نقف
 هكذا فنجعل من انفسنا هدفا لنظرات المارة .. وانت متعب من السفر .
 وكذلك انا .. سنذهب الى مسكنك .. انت اخي .. نستريح ..

صدر حديثا عن دار الاتحاد

وجهاً لوجه مع القومية العربية

بحث واف عن القومية العربية بقلم جاك بولان

نقله الى العربية غيات حجار

التمن ليرنان

يصدر قريباً

نجمة

تأليف الكاتب الجزائري كاتب ياسين

نقلتها الى العربية : ملك ابيض العيسى

راجع الترجمة : سليمان العيسى

- « جميلة » .. هكذا قال احمد في نفسه « جمال منصوري
 اصيل .. ولماذا لا تكون المنصورة مدينة الجمال !! ارضها خصبة
 وخيرها كثير وجوها لطيف والطبيعة من حولها وادعة .. هل كان مسن
 الطبيعي بعد ذلك ان تلد ذيانا لا غزلانا !! ؟ ؟ ؟ »

واختلس نظرة اخرى اطول .. جمال منصوري اصيل ..
 القسماط واضحة .. العيون عسلية عميقة . الحاجبان متباعدان قليلا
 مما يعطي الوجه مسحة حلوة باسمه .. الشعر الملتهب المجدول يصل
 الى الخصر .. الشفتان رقيقتان حائيتان .. القوام رشيق ملفوف ..
 تبارك الخلاق .

ووقف القطار في المحطة التالية . وصعد رجل الى العربية وتهل
 في (الطرقة) التي تفصل بين المقاعد . ثم نقل عينيه بين المقعد الخالي
 الى جانب نبيلة والمقعد الخالي الى جانب احمد !! ومن الطبيعي ..
 جدا !! ان يختار الاكثر رفاهية .. جانب نبيلة .. وادرك احمد الموقف
 سريرا فانتقل هو الى جانبها وترك المقعد الآخر كله خاليا .

كانت نبيلة قد جلست الى جوار النافذة والفت ببصرها الى
 الحقول الخضراء فلما فوجئت بحركة احمد عادت بانتهابها وعينها الى
 داخل العربية وراحت ظهرها على مسند المقعد فلامس جنبها ذراع احمد
 الذي احس بطراوة الجسد الذي يجاوره فجنبت نفسا عميقا وهو
 يقول في نفسه مرة اخرى « تبارك الخلاق »

وفي الواقع ان احمد لا يستطيع ان يقول او يفعل اكثر من ذلك .
 فضميره له بالمرصاد يؤنبه ويؤرقه على اقل هفوة .. وفي هذه المرة
 بالذات كثر ضميره عن انيابه وشرع استننه ليسيل دمه اذا تحرك .. انها
 فتاة ، واخذت صديقه .. وامانة في عنقه .. ضمير تكعيب !! ووصل

القطار الى « المحلة الكبرى » ولم يتبادلا ولا كلمة . ولم ينقد الموقف
 الا بانع الثلوجات اذ صعد الى العربية وملاها صياحا فرأى احمد مسن
 واجبه ان يعيها .. وشربا وتعازما على دفع الثمن .. وتعادنا بعدها

حتى وصلا الى القاهرة ووصل الحديث الى مجاهل حياة كل منهما
 فكتشف عن بعض جوانبها .. فهي مرحلة جريئة تاخذ على عاتقها جانب
 الترفيه عن المدرسات من زميلاتها في مدرسة القرية الريفية التي تعمل

بها .. وهي تدخر نصف مرتبها كل شهر لتشتري به اساور وخواتم ..
 وقسماتين .. وعرف ايضا ان من عاداتها ان تقضي بعض اجازتها عند خالتها
 في القاهرة . وبعد اسبوعين سنتهي اجازة سامي ويعود الى اسكندرية

وستلحق به هناك لتفرج على « البلاج » لكنها لن تلبس المايوه ولسو
 شفتوها .. وعرفت عنه - دون ان يحدثها بذلك - انه خجول ..

واعزب قريب من المثالية .. يقرأ احيانا لكتاب مهديين ويعتقد ما يقرأه ..
 اذ انه لا يعتقد ان الكتاب يكتبون او يصنعون !! ما الذي يحملهم على

الكذب ؟ وعندما صاروا في ميدان رمسيس لم يركب احمد « الباص »
 درجة ثانية كما تعود ولا درجة اولى كما تمنى . وانما اشار الى

ناكسي وجلس معها في المقعد الخلفي وهو يهتف بالسائق ..
 - « الدقي يا اوسطى » .. ، خمسة وعشرون قرشا .. وابيه

يعني !!؟ لكنها .. نبيلة الى جانبه .. الا يساوي ذلك ربع الجنيه !!؟
 وانطلقت السيارة بهما حتى انعطفت في شارع الدكتور كامبل

فيدا - كاتر شوارع الدقي - خاليا من الناس موحشا ، تتلاقى ذوائب
 اشجاره المفروسة على الجانبين ونثار زهورها يفرش الارض بالسوان

بهيجة .. ثلاثة وثلاثون .. خمسة وثلاثون .. سبعة وثلاثون . سبعة
 وثلاثون .. حاسب يا اوسطى .. و .. توقف الاوسطى .

- « اليس هذا منزل خالتك ؟ »

قالت وهي تفتح الباب من جانبها : « هو كما تركته منذ عام » .
 وتقدمته فقرا على السلم ووجد نفسه - عفويا - يبحلق فيسي

ساقها السمينتين وخاصة في تلك المواقع « التي يكشفها انحسار
 القسماط نتيجة لصعود السلم .

وتصور اخته مكانه وتتصرف نفس تصرفه فتعجب بساقني شاب
 غريب فاحس بالاشمئزاز حتى اوشك ان يبصق على السلم . لم يمنعه الا

ان رخام الدرجات نظيف جدا .. ها هو مرة اخرى يتصرف (وكأنه

ساعه .. اثنين .. ثم تعود .

واهتز شيء في داخله .. وتلملم ضميره لينهض معترضاً .. لو كانت اخته هو في موضعه ... ولكنه رأى رجلاً عابراً ينظر الى وقتها - في مدخل البيت - في اتهام صريح فافتنع بأن هذا هو الحل الوحيد. وناكسي مرة اخرى .. والى المنيرة يا اوسطي .

ومسكن احمد - ان كنت لا تعرفه - حجران صغيران . وممسر ضيق .. في احدى الحجرتين حمير فديم من ذوات الاربعة اعمدة .. يمزق لحننا جنازياً متهدجا عندما تملوه او تغلب فيه او تهبط منه .. لعله يشكو من وجع في المفاصل .. لذلك فقد علم احمد فضيلة النوم دون حراك ، وفي الحجرة الاخرى اربعة كراسي قش ونضد .. من القش ايضا ودولاب صغير للثياب احسن حالا من السرير لذلك حرص احمد على وضعه في حجرة « الجلوس » لان حجرة النوم « سر حربي » لا يطع عليه احد .. هي كما ترى شقة لفرد واحد متوسط او دون المتوسط . وكان احمد يتقدمها الى حجرة الجلوس وهو مكسوف من الغبار الذي يكسو كل شيء فيها ومن الفوضى المسيطرة على جوها ، واخيراً .. لقله اناها ..

وكان ضرورياً - ما دام الامر سيستمر الى ما بعد العصر - ان يبدا ثيابهما وان يتناولوا طعاماً .. وان يتكلما .. وان يضحكا .. على القلب احياناً وحياناً لسبب آخر او بلا سبب الا ما يتخيله ايها في داخله ولا يجروا على مناقشته ولو في خفية من نفسه .

وعند الاصيل لبسا ثياب الخروج - وارادت هي ان ترحمه من اجر التاكسي واقترحت ركوب الاوتوبيس فوافق بعد تمنع .. وصعدا السلم وهما لا يشكان في ان هذا موعد معقول لوجود اي اسرة في بيتها .. ولكن القفل كان لا يزال ممسكاً بزمام الباب .. واسقط في يد احمد وغرق في ارتباك حقيقي حتى اذنيه ، وطاشت تصرفاته حتى انه صمغ على زر الجرس صمغاً متواصلاً به البيت كله .. وفتح الباب المجاور واطلت منه سيدة عجوز ثقيلة السمع .. يبدو من نكتتها وهيمتها انها يونانية او ايطالية .. وامالت رأسها نحوهم وكأنها ديك يوشك ان يصيح وقالت : انهم يقادرون منزلهم عادة في مثل تلك الساعة ليتنزهوا على النيل ثم يقضوا السهرة في سينما صيفية او ما اشبه ذلك ثم دخلت واغلقت بابها ..

ولما كان لا يستطيعان تفتيش عشرين سينما صيفية موزعة في انحاء القاهرة ولا يستطيعان الانتظار حتى الواحدة صباحاً امام الباب .. فقد اقترح عليها ان يدخلوا السينما وبعدها يعودان للتأكد من رفع القفل . وفي السينما جلسا متلاصقين .. وكان الفيلم عاطفياً ملتئماً جعل احمد الطيب الوديع كالحمل يتمنى لو كان ممثلاً .. وحياناً تمنى اشياء اخرى في تلك الليلة .. ولكن ضميره - كالشيخ الهرم - لا يدركه النوم الا لماماً .. يسعل دائماً ويزوم .. متيقظ .

وخرجوا من السينما فنظرت نبيلة في عينيه بثبات وقالت : - اسمع يا احمد .. دعني اقترح هذه المرة ايضا .. سنذهب اليهم بعد نصف الليل .

ماذا نقول لهم ؟ كيف نعلم وجودنا منفردين ؟ سنجعل من صحبتنا مدة طويلة في الخارج محلاً لشكهم دون فائدة . انت تصرف الناس والسنتمهم .. وانت اخي .. سنذهب الى الشقة - واهتز كأنه قذف . بحفنة ماء بارد في وجهه - « لا تعرض .. اني لا اخاف .. في الصباح نعود اليهم ولا نخبرهم بما كان . ويضع هذا اليوم من حسابهم ومن حساب اخي سامي .. انه لن يسألهم في اي يوم وصلت .. هذا سؤال لا يخطر على بال » .

واحس بانتشاء خفيف للفكرة الجريئة التي اهتز لها قلبه حتى لقد عضم نفسه في اعتقادها انه حقيقة لا يستطيع ان يبرر وجودها عنده حتى تلك الساعة وان هذا هو الحل الوحيد .. ولعله حاول ان يعترض لكنها كانت قد سحبت من يده فانقاد لها صادفاً . وفي الشقة ترك لها الحجرة اليتيمة التي تصلح للنوم واغلقها عليها وجلس على كرسي في الحجرة الاخرى ووضع ساقيه على النضد الذي كان متهاكلاً فأخذ يتأرجح

بهما مما احال عليه ان ينام الا لوقت قصير .. ومتقطع ..

ولاول مرة في حياته نهض من جلسته ليجد فتاة جميلة وجهها نضر وجسمها رائع وشعرها مبشمل تقف امام المرأة تمسكه وهي تميل برأسها الى جانب في دلال الفرس الاصيل المختال .

هه .. وليس ثيابه وتناول الافطار وصافحها مودعاً - لانه ذاهب الى عمله . ولكنها اخبرته بانها ستنظر حتى يعود لتحافظ على شكلها السفر فيوصلها بنفسه كما اوصى اخوها .. لعله ان يسألهم عن صحبها . لكنه بالتأكيد - لن يسأل عن يوم الوصول هل كان الجمعة او السبت . وقضى اول ايامه في العمل بعد الاجازة مرتبكا متوتر الاعصاب .. دخن ثلاثين سيجارة وشرب عشرة فناجيل قهوة حتى مضت بطنه .. وخرج على كل عادته حتى لقد شتم عم زكي فراش المكتسب العجوز الذي يعامله الجميع كاب !! وقد يبدو ذلك محتزلاً او ممكناً الا ان حدوثه في اليوم الاول عقب الاجازة - والمفروض ان يكون يوم ملاطفات وتحايا وحكايات مسلية عن الاجازة - لفت اليه الاظفار حتى لقد نظرف احد زملائه فعلق على التبدل الملحوظ قائلاً : ابوه يا عم .. راحة وبط وفراخ .. لمدة ثلاثة اسابيع .. واخيراً شمس المنصورة لطشتك ... هو انت داخ من شويه !!!

« عليك اللعنة .. كاذب تقراً ما في نفسي .. شمس المنصورة لطشتني بالفعل .. آليس شيئاً .. يدوخ !! ؟ »

وانتهى من عمله في الشركة قبيل العصر . وركب سيارة الشركة العائدة الى القاهرة فتعطلت في الطريق .. نهايته .. وصل مسكنه في السادسة .. وهناك وجد نفسه في الجنة .. آنسة رشيقة انيقة معطرة جميلة .. والشقة - رغم فقرها - بسيطة ونظيفة والغذاء معد والقلل نظيفة لأول مرة ومملوءة وساقفة .. تفري بالشرب ، والمطبخ الصغير - على غير عادته - ليس فيه ولا صرصور ولا ذبابة واحدة .

- « الله » هكذا افلتت من قلبه كلمة الاستحسان .. واكلوا ونزلا سلم بيته وصعدا سلم الخالة وكنا بعد المغرب بقليل .. وكان القفل في الباب .

وتمثلت المشكلة لاحمد على حقيقتها وعنفها في لمحة خاطفة ودارت به الارض وفقد صوابه حتى راح يصفق بعنف كالمجنون . بينما وقفت نبيلة - هذه المرة - كالفرق .. لا تدري ماذا تفعل وبمن تستنجد !! وانفتح باب صغير تحت السلم واطل منه بواب هزيسل - « مين ؟ .. مين ؟ » .

- « البواب !! » .

ونزلا مسرعين .

- « ابن اسرة الاستاذ خليل ؟ » .

قال في اهمال : « كلهم في اسكندرية » .

- « اسكندرية !! ؟ ؟ »

- « هذا ثالث يوم لهم هناك »

قال احمد وهو يزفر من الفيظ « ولماذا لم تقل ذلك من امس ؟ » وامسك بذراع نبيلة في ذهول وهو يقول للبواب في سره : « الله يخرب بيتك يا بعيد » .

وخرجوا الى الطريق .. وسكتت نبيلة هذه المرة .. انها لا تستطيع ان تقترح شيئاً ان الحل يفرض نفسه .. ستنظر هذه الليلة ايضا .. ماذا يحدث بعد ذلك ؟ ماذا تقول لايها وكيف تبرز بقاءها امس ؟ .. ثم الى اين تذهب غداً ؟ ..

ووحد احمد نفسه في دوامة عتيقة ليس امامه الا ان يؤوبها هذه الليلة ايضا والامر لله .. ومن الفجر تسافر الى اسكندرية فتتضم الى اسرة الخالة .. وهناك ربنا يحلها .. تعرف شغلها .. انها السبب . ووافقت نبيلة وهي تحس بالتعاقب التي خلقتها لصاحبها . ولم يتحدنا هذه الليلة وان كانت تصرفاتها قد فقدت « العرج » الذي كانت تتسم به من قبل .. فقد مد احمد ساقيه امامها في وضع مريح !! واخذت هي تشر صفائرها لتفصل شعرها غير منتبهة لنظرانه المحرومة التي يرسلها ويستردها كومض البرق .

في ذلك الموضع فيدركها الحرج .. اما الان فهي تعتقدني نائما لا احس ما افعل .. ساتركها تستيقظ هي اولا فتزبل يدي وتنهض وتظن انني لا اعرف شيئا .

ونظر اليها من زاوية وخيل اليه ان اهدابها الطويلة المتعاقبة .. تتحرك .. وانها ستفتح عينيها .. لكنه كان عاجزا تماما عن رفع يده .. كان ذراعه خلت من الاعصاب .. الا ان طرفا شديدا على الباب جعله يقفز من فراشه مذعورا واتجه اليه من فوره وفتح ..

- سامي !!!
- نعم سامي .. عجيب ان اوجد في القاهرة اليوم !! المسألة في غاية البساطة ، واتخذ طريقه لحجرة الجلوس .. وكان باب الحجرة الاخرى مواربا .

- ا.. ا.. ا.. اختك هنا .. نائمة
ورشفه بنظرة مغيظة : « اعرف ذلك »
وجلسا وجها لوجه .

- لقد بعثت الى الشركة برسالة تستدعيني فورا للعمل . فعدت الى اسكندرية فوجدت خالتي قد احتلت هي واولادها - بيتي من خمسة ايام .. في الوقت الذي لم تعد فيه نبيلة الى المنصورة ولم تذهب اليهم في اسكندرية من امس الاول .. فعرفت انها .. عندك واحس احمد بانه يسير في ظلام لا نهاية له .. فقال في استخذاء :

- سامي .. هل تشك في صديقك ؟
انه لا يملك دليلا .. فلا مناص من استجداء البراءة .
- « انا » .. محال .. انا لا اشك فيك مطلقا .

ولكن نظرات سامي ولهجته كانت تشككان احمد فيما يسمع . وعرفت نبيلة صوت اخيها فاقبلت من حجرة النوم حافية منقوشة الشعر لحد ما .. وانتقلت عيني احمد من وجه نبيلة الى عيني سامي ليري وقع ذلك على نفسه .. فرأى عضلات وجه صديقه واسنانه تتضاضح حتى وضحت تقاسيم فكه من الخارج - بينما تطلق عيناها شررا .. وران صمت

وعند النوم بدأ احمد يستعد لمفادرة الحجرة ولكنها نظرت فسي عينيه بتمعن قائلة :

- « اسمح لي ان اقترح عليك للمرة الاخيرة .. انت اخي .. انني اغتصب راحتك .. هذا شيء غير لائق .
وهمس لنفسه « ماذا تريد ان تقول ؟ » . ونهض ليقوم قائلا : « لكن ذلك هو الحل الوحيد »

- « مطلقا .. لقد تبين لي انه ليس في البيت مكان يصلح للنوم غير هذا السرير وسننام فيه ! !
- « معا في السرير ؟ ماذا تقولين ؟ »

- « اقول انني اعذبك بتركك جالسا على كرسي طول الليل .. هذا حرام .. تعذيب .. سأنام واغطي باللحاف وتنام انت بدون غطاء ! ! شيء خير من لا شيء .. ولن يلامس جسمك جسمي .. هذا كل ما في الامر » .
- « لا استطيع .. هذا غير ممكن » .

- « انه ممكن وسترى . وان لم تفعل فسأنام انا على الكرسي وادع لك سريرك » . ونظر اليها في استخذاء كأنه ساومها على شيء محرر .. لكنه وجد وجهها مكتسبيا باصرار بعيد عن هذه الفكرة تماما .. فاطاع صامتا .

وانفتحت هي في اللحاف . واستلقى الى جانبها مديرا لها ظهره وهو يفكر في كيفية حل مشكلتها في الصباح .. لكنه يعود فيفكر في امور يتمنى من اجلها لو لم يشرق الصباح ! ! وينهض ضميره متناقلا هذه المرة .. لكنه - ضميره - لا يقوى على الاعتراض .

ولا يقترب النوم من عينيه .. ويتقلب طول الليل وينظر اليها من زاوية فيجدها قد استلقت في نومة حالمة . واهدابها الطويلة .. متعاقبة .. وانفاسها تصعد هادئة .. دافئة .. تفري . « هيه يا احمد » .
وتقلبت هي في رفتها فالتت بذراع طرية ساخنة على صدره سريعا ما انزلت حتى التفت حول عنقه وكانها توشك ان تانقته ! ! واحس بالاختناق .. بانفاسه ثقيلة منقطة كأنه يجذبها من اعماق بحر .. لكنه ظل متصلبا لا يتحرك .

هل تصدق كلمة اخيها .. سامي : ان كل انسان يولد بضميره لكن لبعضنا القدرة على تخديره .. عليه اللعنة .. سامي .. وهل انا الذي اخدر ضميري الان ! ! انها اخته .. هي التي صرعته برصاصا من ... آه .

وتحركت مرة اخرى فرفعت ذراعها فاخذت يتحسس مكانها الدافئ على عنقه في تحسر .. ان ضميره لا يطاوعه على ان يتصنع حركة مثل هذه وهو مستيقظ . ولو حدث مثلها وهو نائم فانها ستخلو من اللذة تماما ! !

واحس بتلج قدميه . وحاول ان يبعد عن خاطره فكرة دسهما تحت اللحاف . ولكن برد الدنيا كلها قد تجمع فيهما . واصبح الحل الوحيد لانقاذهما من الشلل هو ان يضعهما تحت اللحاف ..

وتسلل بهما في رفق حتى لامسا قدميهما الصغيرتين الناعمتين فتلذذ بدفتها وطراوتها .. وتمنى لو يتم ذلك على نطاق اوسع قليلا ! ! بمعنى .. ان تلامس ساقه ساقها ! ! وكان هذا الخاطر كافيا لان يجذب قدميه ويبيدهما الى البرد متحديا . وادار لها ظهره مرة اخرى .. وسمع اذان الفجر ففكر كيف يستطيع ان يذهب الى عمله غدا .. و .. راح في النوم ..

وتنبه على لحن نشرة اخبار الصباح اتيا من راديو الجيران . ووجد الضوء يعمر الحجرة متمسلا من زجاج الباب .. ووجد نبيلة مستلقية على ظهرها وذراعها هو مستلقية في دعة بين نهديهما .. تماما .. واحس بخدر لطيف يسرى في جسمه كله . وينعومة ذلك المنخفض وما يعمر به من عطر وبضاضة ودفء .. رغم وجود الشياح حائلا بين البشريتين ...

واراد ضميره ان ينهض لكن تعليلا مقبولا كان جاهز وعمدا .. لو انني جذبت يدي فانها ستستيقظ وتفهم انني عرفت ان يدي كانت

صدر حديثا :

الطبعة الثالثة من

سَارَتِرَ وَالْوَهُودِيَّةِ

كتاب لا بد ان يقرأه كل من يريد ان يفهم آثار سارتر

تأليف

م . م . البيرسي

ترجمة الدكتور سهيل ادريس

مَنَوَاتِ دَارِ الْآدَابِ - بَيْرُوتِ

فارس الكلام ..

لو كنت فارسا وانت يا حبيبي اميره
لكنت احمل القمر
ليرتمي بصدرك الجميل يا اميرتي صغيره
رفعت صدرك الجميل للسماء
النجم جاء واشتكي قد تغار من جمالك
عقدت فرحتي بطرف شالك
دعيه فوق صدرك الجميل نائما
.. حبيبي غنى الشجر
فهل سمعت يا حبيبي غناه؟
بل انت من يردد الغناء .. ها هو الشجر
يصغي اليك .. يجعل الغناء يا جميلتي سماءه
جميلتي
يا غلتي التي غرستها القت علي ظلها
ملأت كفي من ثمارك
اطعمت قلبي مرتين يا حبيبي
الشمس اشرفت علي نهارك
والبدر في السماء وجهه اختنق
لما طلعت في الافق
يا نجمتي
تعلقني على شعاري
وضوئي بالحب لي جداري
او فارمتي بشرفتي
فربما اكون تحتها جيدتي
كفارسي وانت يا جميلتي اميره
واليوم يا اميرتي : احببت ان اكون فارسا اتى اليك من
هشارف الجزيره

واحمل الكنوز في يدي
فاليوم عيدك الذي احبه ولست يا حبيبي اعيش فارسا
بل اني اعيش شاعرا بضاعتي الكلام
ولست فارسا اتى اليك بالهدايا والكنوز انصب الخيام
وجئت يا حبيبي : حصاني الاوزان والقوافي
وفي جزيرة الخيال يا صديقتي طوافي
خلف الضلوع لي غرام
كتبت منه هذه القصيده
وصرت فارس الكلام
وجئت يا يمامتي حملت هذه القصيده
هديه صغيره
لطفلي الاميره
واليوم عيدك الذي احبه فهل ستقبل الاميره
هديتي !؟

مجاهد عبد المنعم مجاهد

القاهرة

كالذي يسبق انفجارا مروعا ..
- ما الذي اخرحك حتى الان يا نبيلة ؟
قالها سامي ويده تهتز في تشنج وكأنه يستجمه كل قوته فيهما
ليصبها صفة قاتلة على وجه اخته ..
وحاولت نبيلة ان تهرب من عيني اخيها القاسيتين .. وان تحت
عن اجابة ..
- انا ...
كان قلب احمد يتمزق . والموقف الحرج يضغط على عنقه وصدره
فيسحقه ويشل تفكيره معا .. لكنه ... يجب ان يقول شيئا .. اي شيء
اليس هو قطب المشكلة .. والسبب في تضخمها !! اذن عليه ان يتحدث
انه طيب .. ولكنه يستطيع ان يتحدث ان يدافع عن نفسه وعنهما ...
تلك المظلومة ..
- سامي .. لا داعي لهذا الحديث الان ..
- بل مكانه وزمانه .. الان هنا ..
- «ان مناقشة هذا الامر في ثورة الاعصاب لن تصل بنا الى الحقيقة ..
طبعا انت استاذنت من الشركة اليوم .. تعال معي اذن لتتفرج
على مصانع الحديد والصلب ساحكي لك عن كل ما حدث .. كل
شيء .. ستقضي في الشركة يوما ممتعا .. لحسن حظك سنشجع
اليوم فرنا جيدا .. اضخم فرن للصلب في الشرق الاوسط .. سيظل
مشتغلا بصفة مستمرة مدة خمس سنوات !! تصور؟؟ ساحكي لك ..
بامانة كل شيء» .. وركبا سيارة الشركة من ميدان التحرير وفي الطريق
كان سامي ساكتا .. وكان سكوته يفيض احمد لان فيه معنى الاتهام ...
واذا تكلم نصحت كلماته بالشك والفيظ .. الحبيس .. وسامي معذور
... ان اي انسان محايد لا يملك الا ان يتهمهما معا ولا يقف عند مجرد
الشك .. ليلتين على افراد !.. سيعيش احمد .. ونبيلة ايضا هدفا
للاتهام طول حياتهما نتيجة لهذا المازق ... سيحكي احمد لصديقه كل
شيء بامانة لكن هل يصدقه؟؟
ومال احمد على صديقه :
- سامي .. عندي كلمة ..
- هل تقبلني زوجا لاختك ؟
وشمل سامي صديقه بنظرة من تاكد من شيء .. كان متاكدا منه
.. اه .. ان احمد يستتر بالزواج على شيء ما قد فعله .. وسنعرف
ذلك بوضوح من الموعد الذي يحدده للزواج .
- ولم لا يا صديقي .. انت خير من يتزوجها .. وهي ايضا
تستحقك .
اشكرك .. انت صديق عزيز وتؤكد هذه الصداقة بالمصاهرة ...
وانت تعرفني
- لا اعترض لي عليك .. انت تعرف موزنك عندي .. لكني لا استطيع
ان اعطيك وعدا بموافقة نهائية حتى تؤخذ اراء باقي الاسرة .. ولا
استطيع ان اقطع بوقت معين لذلك .
وفهم احمد مرمي الحديث .. لكنه سيثبت له براءتها وبراءته .
- افضل ان تفتحهم فور عودتك واخطبها هذا الاسبوع .. وهذه
مدة معقولة .. وان تكمل الامر العام القادم .. مثلا في الاجازة القادمة
.. حتى استعد .. انت تعرف مرتبي طبعا .
- كما تشاء
وراي احمد نظرة الشك تدوب من عيني صديقه لكنها لا تمنحني نهائيا
... وايضا .. فقد ظل يعاني وقع كلماته الاولى فقال في نفسه :
« عليه اللعنة .. انه لا زال يظن ان في الامر شيئا .. مع انها
مسألة ضمير لا اكثر .. لو كانت اختي فما كنت اقبل نهاية لهذه المشكلة
الا الزواج .. لا اريد ان اتخلى عنها في موقف كهذا وليس لها ذنب ..
ثم .. انني ساتزوجها .. تلك الجميلة المنصورية .. ساصبر زوجا
.. عليه اللعنة .. سامي .. ان هذا الحبل الذي بامتداده تمتد الحياة
قد تعقد عنده . لكنه وجد الحل باهون سبب عندي ...

محمد حسن عبدالله

القاهرة